سأثني فؤادي عنك أو أتبع الهوى
إليك أن استعصي فؤادي أو أبى

ثم يخلص من الغزل إلى لمديح بعد هذا البيت. فهو هنا لا يفعل شيئاً سوى أن ينبذ محبوبته ويتخلص منها، بالمعنى المعجمي وليس المعنى الاصطلاحي، لينصرف نحو ابن خاقان مادحاً إياه بعد أن غسل يده وفمه من تلك المحبوبة المطروحة على قارعة القصيدة.

وجاء المتنبي متغزلاً في البدء ثم أراد التخلص إلى المديح فقال:

حدق الحسان من الغواني هجن لي
يوم الفراق صبابة وغليلاً
حدق يُذِمُّ من القواتل غيرها
بدر بن عمار بن اسماعيلا

يُذِمّ بكسر الذال، أي يجير بمعنى يعطي الذمام، وابن عمار هذا يجير من كل شيء إلا من حدق العيون. والمتنبي هنا لم يتخلص من محبوبته، لقد ظل معها وبها وفيها في صبابة وغليل ويظل مقتولاً بهذه الأحداق. وليس ابن عمار ولا غيره بفاكّه منها.

هنا يكون المتنبي قد قلّد وحاكى النظام الشعري العمودي، ولكنه في الوقت ذاته يتخلص من هذا التقليد بأن يبتكر طرائقه الخاصة في كسر الطوق وإطلاق قيد النص. وهذا هو الديدن الذي سارت عليه مداخلة المتنبي للبحتري، وهو ديدن (الشبيه المختلف).